الفتوحات المكية

تأليف

الشيخ الإمام خاتم الأولياء أبي بكر محيي الدين
محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي
المعروف بابن عربي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ

ضبطه وصححه ووضع فهارسه
أحمد شمس الدين

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الفصل الخمسون: في الأمر الجامع لما يظهر في النفس من الأحكام في كل متنفس حقاً وخلقاً وحيواناً ونطقاً، وبه تمام باب النفس على الاقتصاد والاختصار إن شاء الله. ثم اللواحق وهي الأقسام الإلهية التي نفس الله بها عن عباده وهي من نفس الرحمن.

الفصل الأول: في ذكر الله نفسه بنفس الرحمن. ورد في الحديث الصحيح كشفاً لغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه جلّ وعزّ أنه قال ما هذا معناه: «**كُنْتُ كَنزاً لَمْ أُعْرَفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ وَتَعَرَّفْتُ إِلَيهِمْ فَعَرَفُونِي**»: ولما ذكر المحبة علمنا من حقيقة الحب ولوازمه ممّا يجده المحب في نفسه، وقد بيّنا أن الحب لا يتعلق إلا بمعدوم يصحّ وجوده وهو غير موجود في الحال والعالم محدث والله كان ولا شيء معه، وعلم العالم من علمه بنفسه، فما أظهر في الكون إلا ما هو عليه في نفسه، وكأنه كان باطناً فصار بالعالم ظاهراً، وأظهر العالم نفس الرحمن لإزالة حكم الحب وتنفس ما يجد المحب، فعرف نفسه شهوداً بالظاهر، وذكر نفسه بما أظهره ذكر معرفة وعلم وهو ذكر العماء المنسوب إلى الرب قبل خلق الخلق وهو ذكر العام المجمل، وأن كلمات العالم بجملتها مجملة في هذا النفس الرحماني وتفاصيله غير متناهية، ومن هنا يتكلم من يرى قسمة الجسم عقلاً إلى ما لا يتناهى مع كونه قد دخل في الوجود، وكل ما دخل في الوجود فهو متناه، والقسمة لم تدخل في الوجود فلا تتصف بالتناهي، وهؤلاء هم الذين أنكروا الجوهر الفرد الذي هو الجزء الذي لا ينقسم، وكذلك العماء وإن كان موجوداً فتفاصيل صور العالم فيه على الترتيب دنيا وآخرة غير متناهي التفصيل، وذلك أن النفس الرحماني من الاسم الباطن يكون الإمداد له دائماً، والذكر له في الإجمال دائماً، فهو في العالم كآدم في البشر. لما علم آدم الأسماء كلها أعلمنا بهذا أن العماء من حيث ما هو نفس رحماني قابل لصور حروف العالم وكلماته هو حامل الأسماء كلها، وكلمات الله ما تنفد، فذكر الله لا ينقطع، والرحمن يذكر الله بأسمائه وهو أيضاً مسمّى بها ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الإسراء: الآية ١١٠] ويذكر نفسه من كونه متكلماً ومفصلاً، فذكر الرحمن مجمل وذكر الله مفصل.

الفصل الثاني: في كلام الله وكلماته. الكلام والقول نعتان لله، فبالقول يسمع المعدوم وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [سورة النحل: الآية ٤٠] وبالكلام يسمع الموجود وهو قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٤] وقد يطلق الكلام على الترجمة في لسان المترجم، وينسب الكلام إلى المترجم عنه في ذلك، فالقول له أثر في المعدوم وهو الوجود، والكلام له أثر في الموجود وهو العلم، والموصوف بالتبديل في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [سورة البقرة: الآية ٧٥] وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الفتح: الآية ١٥] هو في الترجمة فإنها تقبل التبديل والمعاني تابعة للكلام، فلا يفهم من الأمر الذي حرف به وبدل المعنى الذي يفهم من الأصل، ولذلك ألحق التبديل والتحريف بالأصل، وإن كان لا يقبل التحريف ولا التبديل لأنه كلام إلهي لا يحكى ولا يوصف بالوصف الذاتي، فإذا وقع التجلي في أي صورة كانت فلا تخلو أن تكون من الصور